مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة التاسعة، العدد الأوّل، ربيع ١٤٣٤هـ
صفحة ١٠١- ١٢١

ظاهرة النبر في القرآن الكريم

حسين كياني[١]*، إسحق رحماني[٢]

١ و ٢. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شيراز

(تاريخ الاستلام: ١٤٣٣/٧/٢٣ ؛ تاريخ القبول: ١٤٣٣/١١/٢)

ملخّص المقال

اتّجه علماء اللغة في دراساتهم إلى دراسة اللغة في المجالات المختلفة وقاموا بتفكيك اللغة إلى وحدات دلالية واهتموا بوحدات أصغر من الكلمة وهي الوحدات الصوتية التي تصاحب أداء الجملة وتؤثر في دلالتها، مثل النبر، التنغيم، والإيقاع و...

والحق أنّه لا يمكن إدراك المعاني الحقيقية للكلام من خلال الألفاظ والتراكيب وحدها، وإنما هناك لغة جانبية صوتية تسهم في التوصل إلى إدراك المعاني والدلالات الحقيقية للكلام، ومن هنا يظهر أهمية دراسة بعض الظواهر النطق المصاحبة لنطق أصوات الكلام الّتي تعجز الكتابة، التعبير عنها كالنبر والتنغيم و....

وتتناول هذه المقالة موضوع النبر كونه واحداً من الظواهر الصوتية غير التركيبية: مفهومه، ودلالته، مبيناً أثره على تحديد المعنى. وتبين من خلال هذا البحث أن النبر يؤدي إلى دلالات متعددة في الجملة وله تأثير واضح في تحديد المعنى الذي يريده المتكلم.

الكلمات الرئيسة

ظاهرة النبر، علم أصوات، اللغة العربية، تحديد المعنى.

---

* الكاتب المسؤول الهاتف: ٠٩١٧٧١٥٦٠٥٤ Email: hkyanee@yahoo.com

مقدمة

اللغة الإنسانية أصوات منطوقة تنتجها آلة النطق لدى الإنسان، وتستقبلها أذن السامع فيفسرها عقله في ضوء ما تعارف عليه أفراد جماعته اللغوية من دلالتها على المعاني. وكانت تلك الأصوات تذهب وتضمحل ويختفي أثرها في الهواء، قبل أن يهتدي الإنسان إلى وسائل لتسجيل أصوات اللغة، فقد مرت قرون كثيرة على البشرية قبل اختراع الكتابة التي مرت بمراحل من التطور حتى استقرت نظمها واتجاهاتها المعروفة. والكتابة مهما كانت دقيقة في نظمها فإنها تعجز عن التمثيل أصوات اللغة تمثيلاً تاماً، فقد تكتب بعض الحروف ولا تنطق، أو تكتب ولكنها تنطق بغير أصواتها، وقد ترسم بعض الأصوات برموز مخصصة لأصوات أخرى، كما أن بعض ظواهر النطق المصاحبة لنطق أصوات الكلام كالنبر، والتنغيم تعجز الكتابة، التعبير عنها. (الحمد، ٢٠٠٢، ص٢٨)

ويعدّ علم الأصوات، العلم الّذي يدرس الصوت الإنساني من وجهة النظر اللغوية وقد عُدّ هذا اللون من اللغة علماً لتميزه عن غيره من فروع اللغة من حيث موضوعه ومنهجه وأهدافه وبهذا فعلم الأصوات لا يُعنَى بغير الصوت الإنساني إلا بقدر ما يخدم هدفه في دراسة ذلك الصوت، ومحاولة التعرف إلى طبيعته ودلالته.

ولهذا فإنه عندما يتعرض للصوت الطبيعي أو الفيزيائي، إنما يفعل ذلك بقصد الوصول إلى طبيعة الصوت الإنساني، الذي هو في الحقيقة ذبذبات صوتية وهو الأثر الواقع على الأذن من بعض حركات ذبذبية للهواء تدخل في دائرة الصوت بمعناه العام، وتخضع لكل القوانين التي تحكمه في تكوينه وانتقاله، وغير ذلك مما يتصل به، مما هو مفصل في علم الفيزياء.

هناك بعض الباحثين يعدون هذا العلم ترفاً علمياً «قاصدين بذلك أنه يقدم إلينا معلومات عن أصوات اللغات لا بأس على اللغوي إن هو لم يعرفها، ولا ضرر على الدراسة اللغوية إذا هي أهملتها، أما التخصص في هذا العلم فهو - في رأيهم - كالانصراف إلى جمع التحف الغريبة والطرف النادرة انصرافاً لا يقصد من ورائه إلا إشباع لذة التملك، وإلا المباهاة والمفاخرة» (السعران، ١٩٦٢، ص٨٥).

لكن حقيقة الأمر تشير بأن هذا العلم ركن أساسي لكل دراسة لغوية، فما اللغة في حقيقتها

إلا «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» (ابن جني، ١٩٥٢، ج١، ص٣٤) وقد اعتنى علماء اللغة قديماً وحديثاً بأصوات العربية فبينوا صفاتها ومخارجها، وتآلفها في أبنية الكلام العربي، وكان أول من اعتنى بها الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي هداه ذوقه اللغوي وتأمله الشخصي إلى علم الأصوات، وبنى عليها معجمه (العين) على خلاف في نسبته إليه كاملا. وتبعه في هذا التأمل سيبويه وغيره من العلماء اللغة في القرون المتتالية.

والأصوات اللغوية تدرس بشكل عام من جانبين: جانب الأصوات المجردة التي يُركّز فيها على صفات الأصوات ومخارجها، وجانب الأصوات المتَشكّلة ويُركز فيها على المقاطع والنبر والتنغيم وغيرها.

ولا يمكن إدراك المعاني الحقيقية للكلام من خلال جانب دون آخر أي من خلال الأصوات المجردة فقط أو الأصوات المتشكلة. فالألفاظ والتراكيب وحدها لا توحي بالمعاني الحقيقية للكلام وإنما هناك لغة جانبية صوتية تسهم في التوصل إلى إدراك المعاني والدلالات الحقيقية للكلام. وظاهرة النبر تعدّ واحداً من هذه اللغة الجانبية المصاحبة للكلام.

تقدمت الدراسات الصوتية في العصر الحاضر تقدماً كبيراً، وكان الباحثون الغربيون أسبق من غيرهم فيها. نشطت الدراسات الصوتية العربية بعد رقدة استمرت سنين كثيرة، وأسهم فيها رافدان كبيران، هما الدراسات الصوتية العربية القديمة، والدراسات الصوتية الغربية على يد عدد من المستشرقين وعدد من الباحثين العرب الذين درسوا في الجامعات الغربية فاطلعوا على مصادر هذا العلم وترجموا أو نقلوا كثيراً من موضوعاته إلى العربية.

ظاهرة النبر من الموضوعات الهامّة التي ظهرت في الدراسات اللغوية الحديثة وهي من الموضوعات الجديدة التي تطرق إليها الباحثون متأثرين باللسانيات الغربية، من أهم المصادر التي درست هذه الظاهرة هي: «كتاب التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة» للدكتور محمود عكاشة، ودرس الكاتب في ست صفحات قضية النبر وأقسامها في اللغة العربية، وكتاب «نبر الكلمة وقواعده في اللغة العربية: دراسة صوتية» لعبدالحميد زاهد، أشار الكاتب فيه إلى نظرية النبر وما كتب حولها في بعض اللغات، وأخيراً وصل إلى هذه النتيجة أن الحركات المنبورة المقترحة إدراكيا تتمتع بخصائص فيزيائية جعلتها تبدو للمستمع على شكل ارتفاع، وبينما حظ كل مكون أكستيكي (التردد- المدة- الشدة) في هذا الانجاز وأيضاً كتاب «التصريف

العربي من خلال علم الأصوات الحديث» لطيب البكوش الّذي اهتدى صاحبه إلى تطبيق المعطيات علم الأصوات الحديث بل وحتى علم وظائف الأصوات على وصف النظام الصرفي العربي في نقطة من نقطة الحساسة ألا وهي النبر فاستطاع أن يوضح بجلاء مفهوم المقطع والنبر في الدراسات اللغوية. وهناك بعض من المقالات التي تطرق إلى هذا الموضوع بشكل ما، ولكن تحاول هذه المقالة البحث عن دور النبر في تحديد المعنى.

غاية هذا البحث هي دراسة دور ظاهرة النبر في تحديد المعنى وبيان أهميتها في التفريق بين الصيغ والمعاني بحيث لا يفهم المراد إلا بوجود النبر. وبما أن وضع النبر في غير موضعه يؤدي إلى فساد المعنى خاصة في القرآن الكريم فمن الضروري دراسة هذه الظاهرة في اللغة العربية وتبين قواعدها ودلالتها.

هذا البحث يسعى للإجابة عن الأسئلة التالية وهي:

- ما هي ظاهرة النبر في اللغة العربية قديمها وحديثها؟
- ما هي العوامل التي تؤثر على مواقع النبر؟
- ما هي الوظيفة الدلالية للنبر؟

هذه المقالة بعد مقدمة وجيزة في علم الأصوات وضرورة الاهتمام بظاهرة النبر ودلالتها في اللغة، توضح دور المقطع في فهم هذه الظاهرة ثم تبين ظاهرة النبر في اللغة العربية عند القدماء والمحدثين وأنواعها ودلالتها وأخيراً تدرس الوظيفة الدلالية للنبر في اللغة مستشهدة ببعض الآيات القرآنية.

المقطع في اللغة العربية

والحق أنه لا يمكن الحديث عن النبر دون الحديث عن المقطع لأن طبيعة المقطع هي التي تحدد مكان النبر في الكلمة والمقطع هو اللبنة الأولى في بناء الكلمة فالنبر قرين المقطع والملازم له ومن المفيد تحديد معنى مصطلح المقطع.

ومصطلح المقطع يعود إلى الفارابي لأنّه هو أوّل من ذكره من القدماء، وقد ذكر نوعين من المقاطع، النوع الأوّل هو المقطع القصير والنوع الآخر هو المقطع الطويل وقال: «كل حرف مصوّت اتبع بمصوّت قصير قرن به فإنه يسمى المقطع القصير ولكن العرب يسمونه الحرف المتحرك.. والمقطع الطويل هو كل حرف غير مصوّت قرن به مصوّت طويل» (الفارابي، دون تا،

ص١٠٧٥). وقد ربط الفارابي بين هذين المقطعين بمصطلحات العروضيين الأسباب والأوتاد إلا أنه لم يشر إلى غيرهما من المقاطع لأن بحثه يعني بالجانب اللغوي.

ومفهوم المقطع كما يتضح عند هذا العالم من تقسيمه هذا، لا يختلف عن مفهوم المقطع عند المحدثين، بل يمكن القول أن المقطع كما يعرَف اليوم هو نفسه عند الفارابي، إلا أنه يشير إلى عدم شيوعه عند العلماء وقتئذ، ولعله هو أول من استعمله منهم.

وأما المقطع عند المحدثين فقد عرفوه بتعريفات مختلفة فمنهم من عرّف المقطع بأنّه: كميّة من الأصوات تحتوي على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة. (عبدالتواب، ١٩٨٣، ص٦٢)

ومنهم من يقول: هو تأليف أصوات بسيطة تتكون منه واحدا أو أكثر كلمات اللغة، متفق مع إيقاع التنفس الطبيعي ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها. (مالمبرج، ١٩٨٥، ص١٦٤) وهناك من يقول المقطع حركة قصيرة أو طويلة مكتنفة بصوت أو أكثر من الأصوات الساكنة. (أنيس، ١٩٧٢، ص١٤٧)

وغير ذلك من التعريفات التي تفسر المقطع إلا أن أي منها لم يحدد المقطع حداً قاطعاً مانعاً كما يرى عبدالعزيز الصيغ أن التعريف الجامع المانع هو تعريف دكتور النعيمي الذي يقول: مجموعة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت، وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعاً بصائت أو عند انتهاء الكلام. (الصيغ، ١٩٩٨، ص١٧٨) ويمكن القول بأن المقطع هو عدد الأصوات التي يمكن أن يخرجها الإنسان في دفعة واحدة من دفعات الزفير.

ومن القضايا المتعلقة بالمقطع في اللغة العربية هي:

- كم عدد المقاطع في اللغة العربية؟
- هل المقطع في اللغة العربية يبدأ بصامت أم بصامتين؟

والمقطع في اللغة العربية أنواع تنتج من النظر إلي موقع الصوت الصائت أو الصامت في نهايته. وأيضا من النظر إلى طوله وقصره.

فأما من حيث النظر إلى نهايته فقد وصفه العلماء بالأوصاف التالية:

١. مقطع مفتوح: وهو المقطع الذي ينتهي بالصائت سواء كان طويلاً أم قصيراً مثل كلمة «كتب» المتكونة من الصوامت والحركات: /كَ/ تَ/ بَ/ (ص ح) ومثل: فِيهَا/ فِي/ هَا (ص ح ح)

٢. مقطع مغلق: وهو الذي ينتهي بالصامت مثل:

- المقطع المغلق في الاسم: هُمْ (ص ح ص)
- المقطع المغلق في الفعل: سِرْ (ص ح ص)
- المقطع المغلق في الحرف: عَنْ (ص ح ص)

٣. مقطع مضاعف الإغلاق: وهو الذي ينتهي بصامتين عند الوقف مثل: / بَحْر/ ثِكْل/ عَبد/ كلّها متكونة من (ص ح ص ص)

وأما من حيث الطول والقصر فالمقطع ينقسم إلى:

١. القصير: وهو ما يتألف من صامت وصائت قصير مثل: بَ (ص ح)
٢. المتوسط: وهو ما يتألف من صامت وصائت طويل مثل: بِي/ (ص ح ح)
٣. الطويل: وهو ما يتألف من صامتين أو أكثر مع صائت طويل مثل:/ باب/ (ص ح ح ص) أو من ثلاثة صوامت مع صائت قصير مثل كلمة / بَدْرْ/ (ص ح ص ص) (بكوش، ١٩٩٢، ص٧٨).

قد جمع محمد قدور في كتابه «مبادئ اللسانيات» بين التقسيمات السابقة وجعل المقاطع في خمسة:

١. صامت + صائت مثل: / بَ/ (ص ح) وهو مقطع قصير مفتوح
٢. صامت + صائت طويل مثل: /بِي/ (ص ح ح) وهو مقطع متوسط مفتوح
٣. صامت + صائت قصير + صامت مثل / مَن/ (ص ح ص) وهو مقطع متوسط مغلق.
٤. صامت + صائت طويل + صامت مثل / فيلْ/ (ص ح ح ص) وهو مقطع طويل مغلق.
٥. صامت + صائت قصير + صامت + صامت مثل: / بِنْتْ/ (ص ح ص ص) في حالة الوقف وهو مقطع طويل مضاعف الإغلاق. (قدور، ١٩٩٩، ص١١٢)

وقد أثبت إبراهيم أنيس أن الأنواع الثلاثة الأولى هي الشائعة في اللغة العربية، إذ تتكون منها الكسرة الغالبة، أما النوعان الأخيران فقليلا الشيوع، ولا يأتيان إلا في أواخر الكلمات وحين الوقف. (أنيس، ١٩٧١، ص١٧٥)

جدير بالملاحظة أن المقطع يختلف عن الصوت الهجائي فالمقطع صوت مركب يحتوي على الصوت وصفة نطقه التي تتمثل في الحركة. والصوت الهجائي يتمثل في الصوت نفسه

فقط. ترجع أهمية المقطع إلى أنه الحقل الذي يظهر فيه النبر سواء كان نبر الكلمة أو نبر الجملة ويشارك في الدلالة إلى جانب معرفة طبقة الصوت التي ترتبط بالمقطع من ناحية الصعود والهبوط.

النبر مفهومه وآراء الباحثين فيه

النبر من الظواهر الصوتية غير التركيبية، فهو يعطي الصوت قوة ووضوحاً، وهذه السمة وما ينشأ عنها من مؤثر صوتي، لها دور وفاعلية في البحث عن جماليات صوتية تتحقق من خلال التحول في نبرة الصوت، وقد تحدث أيضاً تحولاً في المعنى. النبر ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة ـ حرف أو مقطع ـ في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها، ناتج عن زيادة في الضغط على النفس عند خروج الصوت اللغوي. (عبدالرحمن، ٢٠٠٦، ص٤٢)

اللافت للنظر في تعريف النبر عند علماء اللغة هو أن الميزة المشتركة في هذه التعاريف هي أن النّبر يدل على الهمز، والقوة، والارتفاع، والشدة والطول.

جاء في معجم الصحاح: «نبرتُ الشيء أنبره نبراً، رفعته، ... ونبرة المغني: لرفع صوته عن خفض» (الجوهري، ١٩٩٦، مادة: نبر).

وقال صاحب الجمهرة: «النبْر: ارتفاع الشيء عن الأرض؛ يقال: نَبَرْتُه أنبره نَبْراً، أي رفعته. ومنه اشتقاق المِنْبر. وسُمِّي الهمز في الكلام نَبْراً لعلوّه على سائر الكلام» (ابن دريد، دون تا، مادة: نبر).

وأشار صاحب لسان العرب بأنّ النبر: «مصدر نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبِرُه نَبْراً هَمَزَه. وفي الحديث، قال رجل للنبي ﷺ: يا نَبيءَ الله. فقال: لا تَنْبِر باسمي، أي لا تَهْمِزْ. وفي رواية، فقال: إنَّا معْشَرَ قريش لا نَنْبِرُ، والنبْرُ هَمْزُ الحرْف، ولم تكن قريش تَهْمِزُ في كلامها. نَبَرَ الرجلُ نبْرَةً، إذا تكلّم بكلمة فيها عُلُوٌّ، وأنشد إنِّي لأَسمَعُ نبْرَةً من قَوْلِها، فأكادَ أن يُغْشَى عليّ سُرُورا، والنبْرُ صيحة الفَزَعِ ونبرة المغني رفع صوْتِه عن خَفْض» (ابن منظور، ١٩٥٦، مادة: نبر).

فيقصد بالنبر في الدراسات اللغوية تلك القوة والجهد النسبي الممنوح لنطق معين، ليسمح أوضح من باقي المقاطع. (عمر، ١٩٩١، ص٢٢٠) أو هو وضوح نسبي للصوت أو المقطع إذا قورن بغيره من الأصوات المجاورة. (أنيس، ١٩٧٢، ص١٦٠) فالنبر وضوح جزء من أجزاء الكلمة عن بقية ما حوله من أجزائها. والحق أنّ النبر في النطق هو إبراز أحد مقاطع الكلمة عند النطق

وهو ما يسميه بعض العلماء، الضغط على الحرف حتى تكمل حركته، ويتميز عما قبله وبعده بارتفاع الصوت.

اختلف العلماء في وجود النبر في الدراسات اللغوية القديمة ويرى بعضهم أنّ العربية الفصحى لم تعرف هذه الدراسة، ولم يُسجّل القدماء شيئاً من ظاهرة النبر، وأغلب الظّنّ أنّ ما ننسبه للعربية الفصحى في هذا المقام، إنما يقع تحت نفوذ لهجاتنا العامية؛ لأن كلّ متكلم بالعربية الفصحى في أيامنا هذه، يفرض عليها من عاداته النطقية العامية الشيء الكثير وأن دراسة النبر ودراسة التنغيم في العربية الفصحى، يتطلب شيئاً من المجازفة. (حسّان، ١٩٧٩، ص١٦٣)

وأيّد البكوش هذا الرأي قائلاً: «لم يدرس النحاة العرب النبرة مطلقاً، فهي مفهوم غربي مثل المقطع، وهي أساس الإيقاع في جلّ اللغات الغربية ولها في بعضها دور تمييزي (أي قد يختلف معنى الكلمة الواحدة باختلاف مكان النبرة). بينما أساس الإيقاع في العربية توالي الحركات القصيرة والطويلة وهو الإيقاع الكمي» (البكوش، ١٩٩٢، ص٨٠).

هناك من يذهب إلى أن ظاهرة النبر غير معروفة عند النحاة العرب، وذلك لغياب الوظيفية التمييزية للنبر في اللغة العربية. صحيح أن النحاة العرب لم يخلفوا قواعد نبرية للعربية، ولكنهم كانوا على وعي بالظواهر المصاحبة للنطق من نبر، وتنغيم. (زاهيد، ٢٠١٠؛ نقلاً عن فليش)

وقد وقف أحد المستشرقين موقف المتحير حيناً، والمتسائل حيناً آخر، من معرفة علماء العربية بمصطلح النبر، ولم يعثر على نص يستند عليه، ولا أثر يلتجئ إليه في إجابة العربية عن هذا الأمر. (الصغير، ٢٠٠٠، ص٢٨؛ نقلاً عن براجشتراسر)

هذه الأقوال لا يمكن قبولها، لأنّ عدم انفراد لهذه المسائل، لا يَعني أنهم أغفلوا ا عنها، بل كان يدرس من خلال الدراسات اللغوية وكانت مبثوثة في كتبهم وعند النظر إلى كتب النحاة واللغويين، تتضح عناية هؤلاء العلماء بمثل هذه المباحث، فهذا ابن جني يشير إشاراتٍ لطيفةً إلى النبر والتنغيم. فقد سماه ابن جني مطل الحركة، وقال: وحكى الفرّاء عنهم: أكلت لحما شاةٍ لحم شاة فمطل الفتحة فأنشأ عنها ألفا. ومن إشباع الكسرة ومطلها ما جاء عنهم من الصياريف والمطافيل والجلاعيد. فأما ياء مطاليق ومطيليق فعوض من النون المحذوفة وليست مطلا. (ابن جني، ١٩٥٢، ج٣، ص١٢٣)

وأما المحدثون من الغربيين والعرب درسوا النبر واهتموا به، وقد أشار عبدالتواب نقلاً عن بروكلمان بأنّه قال: «في اللغة يدخل نوع من النبر، تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخر الكلمة إلى مقدمتها حتى يقابل مقطعا طويلا فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإن النبر يقع على المقطع الأول منها» (عبدالتواب، ١٩٨٣، ص١٦٢).

عرف مارتني النبر بأنّ: «وظيفة النبرة من الأساس تمييزية أي أنها تساهم في اللفظ أو الوحدة الّتي تخصصها بالنسبة للوحدات الأخرى من نفس الضرب الموجودة في نفس القول» (مارتني، دون تا، ص٧٧).

وأما كانتينو فيذهب إلى أن: «النبر يقع على مقطع طويل من الكلمة ابتداء من آخرها، وإذا خلت الكلمة من المقاطع الطويل، وقعت النبرة على المقطع الأول منها». واستطرد كانتينو قائلاً: «إن المستشرقين استلهموا هذه القاعدة من سماعهم للمثقفين المصريين في أوائل القرن السابع عشر الميلادي» (كانتينو، ١٩٦٦، ص١٩٤).

ومصطلح النبر[1] هو مصطلح أوروبي حديث يكون بالضغط على مقطع من مقاطع الكلمة أو الكلام أي يكون الضغط على أحد المقاطع أقوى من غيره، ولا تخلو لغة من اللغات منه. (عمر، ١٩٧٦، ص١٨٨)

أما الباحثون المعاصرين العرب فدرسوا هذه الظاهرة متأثرين بالدراسات الغربية وتعددت تعريفات لدى هؤلاء الباحثين لهذه الظاهرة، منها: «هو نشاط ذاتي للمتكلم ينجم عنه نوع من البروز لأحد الأصوات أو المقاطع قياسا لما يحيط به» (عمر، ١٩٧٦، ص١٨٨).

ويرى عبدالصبور شاهين أنه «لم يختلف التصور الحديث لفكرة النبر عن تصور اللغويين القدماء له كثيراً، فقد تصور أصحاب المعاجم النبر على أنه ضغط المتكلم على الحرف، ونظم المحدثون هذا المعنى حين خصوه بالمقطع، فالنبر يحدث عندما تبرز بعض أجزاء سلسلة الأصوات على حساب الأجزاء الأخرى، وهي غالباً المقاطع التي يعارض بعضها بعضا» (شاهين، دون تا، ص٢٥).

---

1. Stress

ويفرق عبدالصبور بين الإيقاع والنبر «فالإيقاع عنصر يختص بالجمل، ولا يتركز على مقطع أو مجموعة معينة، على حين أن النبر يختص بالكلمة، أي: بالمجموعة الأصواتية، ويتركز على مقطع بذاته منها، طبقا لنظام خاص بكل لغة على حدة» (شاهين، دون تا، ص٢٥).

والنبر عند محمود السعران يعنى «أن عدداً من المقاطع أو "الكلمات" يكون أشد بروزاً من سائر الجملة» (السعران، ١٩٦٢، ص١٨٨).

والعامل المشترك بين هذه التعريفات هو أن النبر يمثل بروزاً لأحد مقاطع الكلمة، فيميزه عن غيره سمعياً. والإنسان حين ينطق بلغته، يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة؛ ليجعله بارزاً في السمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهذا الضغط هو الذي يسمى بالنبر.

فالنبر في عرف علماء اللغة المحدثين وضوح نسبي (أو إبراز الصوت) يتميز به صوت، أو مقطع من بقية الأصوات أو المقاطع الأخرى التي تجاوره في البنية التركيبية، ويسخِّر المتكلم لتحقيق هذه الحالة جهداً عضلياً أعظم. (حسان، ١٩٧٩، ص٢٥١) فالنبر ظاهرة صوتية تظهر عند نطق مقطع بحيث تميز عن باقي المقاطع لسبب معنوي.

والنبر حقيقة يختلف من لغة لأخرى، فقد فرق أحمد مختار عمر بين اللغات النبرية واللغات غير النبرية، فيقول: «إن النبر ليس مستخدماً في كلِّ اللغات للتفريق بين المعنى، وبالتالي ليس فورنيماً في كل اللغات» (عمر، ١٩٧٦، ص١٨٩). فهناك لغات نبرية وهي اللغات التي تستخدم النبر كفورنيم والأخرى لغات غير النبرية، ومن مميزاتها أنها تثبت النبر في مكان معين من الكلمة.

وأما اللغات التي تستخدم النبر كفورنيم فيكون موضع النبر فيها حراً غير محدد، ينتقل من مقطع لأخر، ويستخدم حينئذ للتفريق بين المعاني أو الصيغ عن طريق تغير مكانه، ومن هذه اللغات، اللغة الإنجليزية. فكلمة: (Convert- Import-Permit-Contract) المكونة من المقطعين، إذا نطقتها بنبر مقطع الأول صارت اسما، وإذا ضغطت علي المقطع الثاني فهي فعل. وهكذا.

وأما اللغة العربية فهي لا تنتمي إلى اللغات النبرية كالإنجليزية ولا تنتمي إلى اللغات غير النبرية التي تتميز بتثبيت النبر في مكان واحد معين في جميع الكلمات.

وفي اللغة العربية، لا يوضع النبر على مقطع معين، بل تختلف المواضع حسب نوع المقطع الذي يكون الكلمة وحسب طولها.

أنواع النبر

قبل البدء في دراسة الوظيفة الدلالية للنبر لابدّ الحديث عن النوعين الرئيسيين للنبر:

أ) الصرفي وينقسم بحسب قوة النطق ودرجة الدفع إلى:

١. نبر أولي وقد وضع علماء اللغة قواعد محددة له حسب طبيعة الكلمة المنطوقة ومقاطعها كما يتّضح ذلك من التوزيع التالي:

- الكلمة من مقطع واحد يقع النبر على المقطع نفسه، نحو: مَنْ ولَمْ.
- الكلمة من مقطعين يكون النبر على المقطع الثاني.

٢. نبر ثانوي ويتشكل في العادة بعد أن تدخل اللواحق الصوتية فتغير من موقع النبر الأولي لتخلق نبراً ثانوياً يشكل إيقاعاً وإراحة للسمع فالنبر الثانوي يوضح ما لولاه لخفي السمع ويوجد من التوازن بين جزئي الكلمة ما يجعلها أكثر قبولاً وإراحة للأذن. (عبدالرحمن، ٢٠٠٦، ص٤٣) فالنبر يكون في الكلمات التي تشتمل على عدد من المقاطع يجعلها في وزن كلمتين مثل كلمة (استغفار) فإنها تشتمل على نبر أولي على المقطع (فا) وآخر ثانوي على المقطع (تغ).

فأثر النبرين على الإيقاع والنغمة حسب التقارب والتباعد واضح «فكلّما تقاربت أعداد المقاطع بين النبرين أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض حسن إيقاعها» (أنيس، ١٩٧٢، ص٢٧٠).

ب) النبر الدلالي أو السياقي، فيقوم بالضغط على كلمة معينة، في إحدى الجمل المنطوقة، لتكون أوضح من غيرها من كلمات الجملة، وذلك، للاهتمام بهذه الكلمة، أو التأكيد عليها، ونفى الشك عنها من المتكلم أو السامع. أما نبر الجمل ومجموعات الكلامية، فليس له ارتباط بالصيغ الصرفية؛ لأنه نبر ذو وظائف نحوية. فله قواعد محدودة. ويرى تمام حسان أن هذا النبر إما أن يكون تأكيداً، أو تقريراً، فالتأكيدي يعلو معه الصوت، وتكون دفعة الهواء فيه أقوى من التقريري. (حسان، ١٩٧٩، ص١٩٤)

وأما إبراهيم أنيس فهو يرى أن نبر الجملة هو قصد المتكلم إلى كلمة في جملة يزيد نبرها ويميّزها من غيرها من كلمات الجملة رغبة منه في تأكيدها أو إشارة إلى غرض خاص. (أنيس، ١٩٧١، ص١٧٥)

على سبيل المثال في جملة (هل سافر أخوك أمس) يختلف الغرض منها باختلاف الكلمة

التي زيد نبرها، فإذا زيد نبر (سافر) كانت هناك شك في السفر، وإذا زيد نبر (أخوك) كان القصد أن هناك شكّاً في المسافر. وأمّا إذا زيد نبر (أمس) كان القصد أن هناك شكّاً في زمن السفر.

فخلاصة القول أن النبر في اللغة العربية هو قوة التلفظ النسبية التي تعطي للصائت في كل مقطع من مقاطع الكلمة أو الجملة. وله أربعة مواضع أشهرها وأكثرها شيوعاً؛ المقطع الذي قبل الأخير. وهذه المواضع الأربعة هي:

أولا: يقع النبر في المقطع الأخير من الكلمة، إذا كان مقطعاً طويلاً (أي من النوع الرابع والخامس) مثل كلمة:

- (مستقِيمْ) فـ (قِيم) المكون من: (ص ح ح ص) يقع عليه النبر في اللغة العربية عند الوقف عليه.

- (يستمِدّ) فـ (مِدْدْ) المكون من: (ص ح ص ص) يقع عليه النبر أيضاً في اللغة العربية عند الوقف.

ثانياً: ويقع النبر على المقطع الّذي قبل الأخير إذا كان:

من النوع الثاني (هو مقطع طويل مفتوح متألف من "ص ح ح") مثل: - ينادي = (ص ح + ص ح ح + ص ح ص).

أو من النوع الثالث (هو مقطع طويل مغلق بحركة قصيرة من "ص ح ص") مثل: استفهم = (ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص).

ثالثاً: ينبر المقطع الذي يسبق ما قبل الأخير (الثالث من الأخير) إذا كان المقطع الأخير من النوع المتوسط، والذي قبله من النوع القصير، وهذا يشمل حالتين هما:

- ص ح + ص ح ص مثل: علّمك = ص ح ص + ص ح+ ص ح ص.

- ص ح + ص ح ح مثل: علّمو = ص ح ص + ص ح + ص ح ح.

رابعاً: يقع النبر على المقطع الرابع حين نعود مقطع الكلمة من الأخير، وذلك إذا كانت المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير في الكلمة من النوع الأول مثل: قولك بالتنوين: سَمَكَةٌ = (ص ح + ص ح + ص ح+ ص ح ص) حركةٌ = (ص ح + ص ح + ص ح + ص ح ص). (الموسوي، ١٩٩٨، ص١٣٢)

هناك عوامل مؤثرة على مواقع النبر كاشتقاق كلمة من كلمة أخرى بحيث يؤدّي إلى انتقال النبر من مقطع إلى مقطع آخر، كاشتقاق الفعل من المصدر، مثلاً: اشتقاق فعل «اندَفَع» من مصدر «اندفاع» فالنبر ينتقل من «فا» إلى «دَ» وأيضاً في اشتقاق المضارع من الماضي نحو: «خَرَجَ» فالنبر فيها يقع على المقطع الأول وفي «يَخْرُجُ» يقع النبر على المقطع الأخير «رُ». وكذلك في الفعل المجزوم «لَمْ يَخْرُجْ» ينتقل موقع النبر من «رُ» إلى «يَخْ».

تؤثر العمليات التصريفية في مواقع النبر بحيث ينتقل النبر من المقطع الأول «سَ» في الاسم المفرد إلى المقطع الثالث «مون» في الجمع، في نحو: «سليم» و«سليمون» وأيضاً ينتقل النبر عند اتصال الفعل الماضي ببعض الضمائر الرفع المتحركة، نحو: «فَتَحَ» التي يقع النبر فيها على المقطع الأول «فَ» وعند الاتصال إلى الضمير المتكلم «فَتَحْنَا» انتقل النبر على المقطع قبل الأخير «تَح».

الوظيفة الدلالية للنبر

فالنبر يعتبر رمز من رموز اللغة العربية، لأنها قائمة على بنية من النبر والنغم، والإيقاع، بحيث تؤدي من الوظائف الدلالية، وتدقق بها من المعاني. وهو نوع من الأداءات الخارجية (اللغة الجانبية) التي تسهم في تحديد معنى الكلام أو نوع من الظواهر المصاحبة للكلام. ويمكن تقسيم هذا النوع من الأداءات (القرائن) إلى قسمين:

أ) ما يمكن أن نطلق عليه الأداءات أو القرائن الصوتية، مثل الوقفات، والتنغيم،والنبر، والتزمين، والإيقاع.

ب) القسم الآخر هو الأداءات الخارجية الّتي تسهم في تحديد معنى الكلام، فهو ما يمكن تسميته (الأداءات غير الصوتية)، مثل: السياق والحركة الجسمية المصاحبة للكلام. (أبو عاصي، ٢٠٠٩، ص٧٢)

فالنبر له وظيفة دلالية إذ يفرق بين كلمة وأخرى، وهو يتفق مع تعريف أحمد مختار عمر للنبر الّذي بين أن النبر في اللغة العربية يحمل وظيفة دلالية وقد استدل على رأيه بأمثلة مطابقة؛ منها ما يقول: (كريم الخلق) و(كريمو الخلق) ففي المفرد، النبر على المقطع الأول بينما النبر في الجمع على المقطع الثالث، وكذلك كلمتي = (ليلى وليلاء). (عمر، ١٩٧٦، ص٣١)

فإن للنبر أثراً في تغيير بنية الكلمة من معنى صرفي إلى آخر، فأنت لو نطقت كلمة (كَتَبَ)

مثلاً بفتحة على عين الفعل، لوجدت أن الأصوات فيها متساوية نبراً، لكن إذا ما نطقتها بـ(كَتَّبَ) بالتضعيف، فإن عين الفعل تفاوت في النبر عن الأصوات الأخرى، مما جعله يَنقل الكلمة إلى بنية أخرى ذاتِ دلالة معينة. ولعل من أبسط الأمثلة وأوضحها التي تبين طبيعة النبر وأهميته في تحديد المعاني أنّ التقطيع العروضي لتركيب (مدرّس العربية)، وتركيب (مدرّسو العربية) من قولنا: (جاء مدرّس العربية)، و(جاء مدرّسو العربية)، هو تقطيع واحد، وهو (مُ درْ رِ سلْ عَ رَ بيْ يَ ةِ)، ولكن النبر هو الذي يفرق بين الجملتين، فإذا قلت لشخص (جاء مدرِّسو العربية) (دون استعمال النبر) فلن يعلم أنك تتحدث عن جمع من المدرسين، بل يظنك تتحدث عن مدرس واحد. وهنا يأتي النبر ليفرق بين الجملتين: فإذا أردت الجملة الأولى يجب أن يكون النبر على المقطع «در» وربما يضعه البعض على المقطع «ر»، أما إذا أردت الجملة الثانية فيجب أن يكون النبر على المقطع «سل»؛ ليدل على أن أصلها (سول)، ولكن حذفت الواو لمنع توالي الساكنين على الواو واللام، فتلفظ (سلْ) في الجملة. (أبو عاصي، ٢٠٠٩، ص٧٢)

فالنبر له وظيفة دلالية إذ له دور في تحديد المعنى وفي هاتين الجملتين: «يزيد طويلٌ» و«يزيد محمد الكيل» فإن كان النبر على المقطع الأول / يَ/ من «يزيد» وهي اسم في الجملة الأولى وإن كان على المقطع الثاني / زِيد/ من «يزيد» وهي فعل في الجملة الثانية. ورغم هذا الفرق في موقع النبر بين الكلمتين السابقتين إلا أن النبر لا يعتبر في العربية فونيمياً، ذلك لأنه لا يفرق العرب بين الكلمتين بناء على موقع النبر وإنما ينطقونها هكذا في السياق. فلو قلت «يزيد» منفردة فإنها ستحمل كلا المعنيين أينما وضعت النبر. والنبر في العربية له وتيرة شبه ثابتة. فهو يقع على الصائت الأول في الكلمة إذا كانت بقية الصوائت قصيرة، وعلى الصائت الطويل إذا كان هناك صائت طويل واحد في الكلم، وعلى الصائت الطويل الأخير إذا كان هناك أكثر من صائت طويل في الكلمة. وتستخدم كثير من اللغات النبر، فتضعه على كلمة معينة في الجملة لبيان أهمية تلك الكلمة. (الغامدي، ٢٠٠٠، ص٧٦) ففي هذه الجملة «دَخَلَ سعيدٌ الصفَّ» إذا كان النبر على كلمة «زيد» فهو الإخبار بأن سعيداً هو الذي دخل الصفَّ وليس أحد غيره. فقد يكون لدى المتحدث علم بأن السامع يعلم بدخول سعيد في الصفِّ إلا أنه لا يعرف الفاعل. وإذا كان النبر على الصفِّ فالتوكيد يكون المدخول فيه وهو الصف وليس شيء غيره.

من أمثلة الوظيفة الدلالية للنبر الثانوي ما تكون في قوله تعال ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾ (الكهف، ١١٠) فالزيادات التي لحقت بالفعل (الفاء واللام)، شكلت نبرين في الكلمة وإيقاعاً لافتاً، يظهر أثرهما لو أعدنا نطق الكلمة دون تلك اللواحق (اعمل)، فلا يخفى أثر تلك الزيادة، فهي من جانب أخفّ في الطلب، ومن جانب آخر تبني علاقة بناء مع غيرها من صيغ الأمر، كما يظهر في قوله تعالى ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً﴾، ﴿وَلْيَتَلَطَفْ﴾، ويتشكل النبر الثانوي في عبارة ﴿أَنْسَانِيه﴾ في قوله تعالى ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ (الكهف، ٦٣) النبر الهادئ رافق التلطف في الطلب، وفي حالة من الندم على النسيان لأمر الحوت. يظهر أثر اللواحق الصوتية في (تقولنَّ)، على التغيير في النبر، فتشكل نبر ثانوي نتيجة للزيادة في مبنى الكلمة فارتفعت النغمة، وعلى العكس من ذلك ارتفعت النغمة نتيجة للحذف المتأتي مع الإدغام في (إنّي)، إذ لو جاءت أنني لَخفّ الأثر الصوتي وذهب ملمح القوة الذي يظهره من يدعي القدرة مع المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله. (عبدالرحمن، ٢٠٠٦، ص٤٣-٤٤)

دلالة النبر في القرآن الكريم

ظاهرة النبر في القرآن الكريم من الظواهر الدقيقة التي لا ينتبه إليها كثير من القراء، على الرغم من أن وضع النبر في غير موضعه قد يؤدي إلى فساد في المعنى، ولذلك ينبّه علماء التجويد والتلاوة على وجوب تعلم مقرئ القرآن الكريم الضغط على بعض الحروف، حتى تكمل حركته، ويتميز عما قبله وبعده بارتفاع الصوت، وهي:

أ) الوقف على المشدد، مثل كلمة «الحي» و«بثّ». قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ (الفرقان، ٥٨) وقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾ (النساء، ١).

ب) عند النطق بواو مشددة قبلها مضموم أو مفتوح: «القُوّة»، «قَوّامين». قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (البقرة، ١٦٥) فالنبر على حرف الواو في كلمة «الْقُوَّةَ» له تعبير دلالي للتأكيد على أن القوة للّه وحده، لاسيما والآية تتحدث عن اتخاذ الأنداد من دون الله، فكان لابد من التأكيد على «الْقُوَّةَ» التي تليق باللّه تبارك وتعالى.

ج) عند النطق بياء مشددة قبلها مكسور أو مفتوح: «شرقيّا» في الآية الكريمة ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾ (مريم، ١٦)، و«صبيّاً» في الآية الكريمة ﴿وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيّاً﴾ (مريم، ١٢).

د) عند الانتقال من حرف مد إلى حرف مشدد مثل: «الصاخّة». في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ (عبس، ٣٣) فإنّ لهذا النبر على حرف «الخاء» تأثيراً دلالياً يفيد الإحساس بصوت الصاخة التي تصم الآذان لشدتها، وبذلك يكون للنبر وظيفة معنوية مهمة لا تتحقق إلا بواسطته.

فقد ينطق القارئ الكلمة بتشكيل صحيح ومخارج وصفات سليمة، ثم يعطي معنًى مخالفاً للمراد، فمثلاً قوله تعالى: ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر، ٢٩).

فإذا قُرِئت كلمة «فَقَعُوا» على وزن كلمة «ذهبوا» مثلاً كان معناها من الفقع، وليس ذلك هو المعنى المراد، بل المعنى المراد هو «فَخِروا» له ساجدين سجود تحية، أو «فَأَلْقُوا» له التحية بالسجود؛ ولكي يكون ذلك لا بد من تمييز حرف الفاء، والصبر على حركة القاف دون الإسراع، وهذا ما يعرف بـ(النبر) في تلاوة القرآن الكريم. وللنبر في تلاوة القرآن الكريم أمثلة عديدة. (أبو عاصي، ٢٠٠٩، ص٧٤)

من أمثلة دلالة النبر في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين، ٣) ﴿وَإِذا كالُوهُمْ﴾ يعني: إذا باعوا من غيرهم ينقصون الكيل، ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ يعني: ينقصون الكيل، وقال بعضهم كالوهم حرفان يعني: كالوا ثم قال: هم، وكذلك وزنوا ثم قال: هم يخسرون، وذكر عن حمزة الزيات أنه قال هكذا ومعناه هم إذا كالوا أو وزنوا ينقصون. وكان الكسائي يجعلها حرفاً واحداً كالوهم أي: كالوا لهم وكذلك وزنوا لهم، وقال أبو عبيدة وهذه هي القراءة؛ لأنهم كتبوها في المصاحف بغير ألف، ولو كان مقطوعاً لكتبوا «كالوا هم» بالألف. (السمرقندي، دون تا، ج٣، ص٥٣٤) واعتبر أبو عبيده لفظ «كالوهم» جملتين وذلك أن لفظ «هم» على هذه القراءة مؤكد لضمير الفاعل، واللفظ التوكيدي كالزائد عن بناء الجملة؛ لأنه ينصب على مفردة فيها لا علي مبناها كله، في حين أن المفعول هو من تمام بناء الجملة الفعلية في الفعل المتعدي لأن الكلام يتطلبه، ومن هنا عدُّوا قراءة (كالوهم) في حالة تنغيم (هم) مفعولاً كلمة واحدة، وفي حالة تنغيمها توكيداً حرفين أي كلمتين وكذلك الأمر في (وزنوهم) والنبر هنا يتمثل في ضغط النطق بالضمير ضغطاً يشعر بتميزه عما قبله، ويرتفع به صوته عما قبله وبعده في كل من القراءتين، وكذلك الأمر في جعل الضمير (هم) في (هم يخسرون) مبتدأ وهذا الضمير يعد لغوياً كلمة ويعد صوتياً مقطعاً. (أبو عاصي، ٢٠٠٩، ص٧٣)

ومن أمثلة النبر في تلاوة القرآن الكريم أيضاً ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ (القصص، ٢٤) فلو قُرِئت بالإيقاع نفسه الذي تقرأ به «جعلا لهما» تصير كلمة «فَسَقَى» وكأنها من الفسوق، في حين أنها من «السَقَيَ»، وكذا لو نطق ﴿وَسَعَى لَهَا﴾ (الإسراء، ١٩) وكأنها من السعة والاتساع، في حين أنها من السعي الذي هو السير، .. وكذا ﴿فَهَدَى﴾ (الأعلى، ٣)، عدم نبر الفاء يلبسها بـ «فهدا» وتجنب مثل هذا يكون بنبر المقطع الثاني أي الصبر على الحرف الثاني وحركته ولو قُرِئ مثل قوله تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوه﴾ (إبراهيم، ٣٤) دون نبر «ما»، فتقترب الكلمة من كلمة «كلَّما» التي تفيد التكرار، وكذلك نطق ﴿أَيْنَ ما كُنْتُم تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (الأعراف، ٣٧) دون نبر «ما» يتغير المعنى من استفهام موجه للكافرين عن شركائهم إلى ظرف مكان عام، أو اسم شرط وجزاء، وكلاهما غير مناسب، وكذا قوله تعالى: ﴿ولَو أَنَّما في الأَرضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلام﴾ (لقمان، ٢٧) دون نبر «ما» يجعل «أنما» كأنها أداة قصر وهذا غير مراد في الآية. وكذلك ﴿فَتَرَى الَّذِين﴾ عدم نبر الفاء يلبسها بـ «فَتَرَ الَّذين» من الفتور، و﴿حَاضِرِي المَسْجِدِ﴾ (البقرة، ١٩٦) عدم نبر الراء يلبسها بـ «حَاضِرِ المَسْجِدِ»، و﴿مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ (التوبة، ٢) عدم نبر الزاي يلبسها بـ «مُعْجِزِ اللهِ». ﴿حرِّضِ المؤمنين﴾ (الأنفال، ٦٥) نبر الضاد يلبسها بـ «حرضي المؤمنين». ﴿فَجَعَلَهُم﴾ (الفيل، ٥) نبر العين يلبسها بـ(فجع لهم). ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (الأعراف، ٣٧) عدم نبر النون يلبسها بـ «أينما كنتم تدعون من دون الله».

وفي التركيب الندائي القرآني التالي: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ (يوسف، ٢٩) يستدل على ندائيته بالنبرة التي تنطق بها الجملة، ومثله التركيب ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾ (آل عمران، ١٩١)؛ فإن النبرة الدعائية للتركيب هي التي حددت دلالتها الندائية، وغيرها من المواضع الندائية المحذوفة الأداة، وعلى ضوء هذا يمكن تخريج كل البنى الندائية المحذوفة الأداة، فهي جمل منبورة بمعنى أن للنبر فيها دورا لتحديد دلالتها الندائية، ومن ثم وصفها ضمن البنى الندائية خاصة الجمل الندائية الدعائية، وهي التي يكثر فيها حذف الأداة، ومن ثم صح القول بأنه كان للنبر الدور الحاسم في وصف عدد من الظواهر اللغوية في اللغة العربية رغم ما يقال من أن علماءنا لم يعتنوا بظاهرة النبر والنغم. (حسان، ١٩٩٨، ص٢٢٨)

وتشير الدراسات الحديثة التي أجراها المستشرقون وبعض العرب المعاصرين، إلى أن النبر في اللغة العربية الفصحى مسموع ولاسيما في قراءة القرآن، له موضع ثابت يرتبط

بعدد المقاطع ونوعها. (قدور، ١٩٩٩، ص١١٨)

مما سبق يظهر أنّ النبر له دور أساسي في تحديد المعنى والجدير بالذكر أن النبر ليس دائماً مؤثراً في تحديد المعنى كنبر الحرف الثاني من (يَعِظُكُم - يَعِدُكُم) لأنه يؤدي إلى اختلاس حركة الحرف الثاني لأن هذه الحركة كاملة وليست مختلسة، وكما يفعل بعضهم في (أفلا تعقلون) يسرع بحركة الفاء ليستفهم كما يظن فإن سألته لما هذا؟ قال للتفرقة بينها وبين (أَفَلَ) الفعل (سورة الأنعام) في حالة تثنيتها أي (أفلا) ويظن أنه يفرق بينهما، وهذا خطأ؛ لأن حركة الفاء كاملة وليست مختلسة وليست من الكلمات التي وردت مختلسة، ولكي يستفهم ينبر - أي يضغط - على (لا) أو يلقي الكلمة التي بعدها - هنا (تعقلون) - بطريقة تشعر بالاستفهام. (أبو عاصي، ٢٠٠٩، ص٧٤)

الخاتمة

توصل البحث إلى نتائج؛ منها:

- النبر عبارة عن ارتفاع ملحوظ في درجة الصوت في نطق مقطع من مقاطع الكلمة فيميزه عن غيره من مقاطعها، فالنبر يتحقق من خلال المقاطع ويظهر من خلال الأداء الصوتي للكلمات في الخطاب المقروء أو المنطوق ولهذا يرتبط بالدلالة السياقية. اختلف الباحثون في وجود النبر في القديم منهم من رفض ومنهم من أيّد والحق أنها كانت موجودة في خلال علم القراءة والتجويد والصرف ولكن لم تكن بحثاً مستقلاً. بعد تعرف العلماء المحدثين آراء الغربيين في اللغة انتبهوا إلى هذه الظاهرة ودرسوها درسا مستقلاً.

- أهمية النبر في الدراسة الصوتية واللغوية ترجع إلى:

- التفريق بين الصيغ أو المعاني بحيث لا يفهم المراد إلا بوجود النبر

- التفريق بين الاسم والفعل

- التأكيد والدلالة على الانفعال

- العوامل المؤثرة على النبر هي الاشتقاق، إسناد الفعل إلى الضمائر، جزم الفعل المضارع.

- إن النبر دليل على الصوت أولاً، ثم بعد ذلك تأتي الوظيفة؛ لأن للنبر وظائف متعددة في انجاز الكلام وذلك التعدد نابع من خلجانات النفس الإنسانية. ولهذا علاقة النبر بعلم الوفونولوجيا أكثر منه بعلم الفونيتيك؛ لأن للنبر علاقة بخلجات النفس الإنسانية في تركيبه الكلامي، لهذا، النبر موضوع علم الفونولوجيا؛ لأنه يدخل ضمن المقاطع الصوتية، والإنسان يحس ذلك من خلال كلام السائل أو المستفهم.

- النبر يؤدّي دوراً وظيفياً في التركيب ويؤثر في دلالته، ويساهم في دلالة التركيب نحو: التفريق بين معنى ونقيضه في جملة (هذا ما قلته) إذا وقع النبر على (ما) فهي جملة منفية وإذا وقع على (قلته) فهي جملة مثبتة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن جني، أبو الفتح (١٩٥٢). *الخصائص*. تحقيق محمد علي النجار، ط ٢، بيروت: دار المهدي للطباعة والنشر.

٢. ابن دريد، محمد بن حسن (دون تا). *جمهرة اللغة*. تحقيق رمزي منير البعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين.

٣. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٥٦). *لسان العرب*. بيروت: دار الصادر للطباعة والنشر.

٤. أبو عاصي، حمدان رضوان (٢٠٠٩). الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى. *مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية*، المجلد السابع عشر، العدد الثاني.

٥. أنيس، إبراهيم (١٩٧١). *الأصوات اللغوية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٦. ـــــــــــ (١٩٧٢). *موسيقى الشعر*. ط ٤، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

٧. البكوش، الطيب (١٩٩٢). *التصريف العربي من خلال علم الأصوات*. تونس: مطبعة العربية.

٨. الجوهري (١٩٩٦). *معجم الصحاح*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٩. حسان، تمام (١٩٧٩). *مناهج البحث في اللغة*. دار البيضاء: دار الثقافة.

١٠. ـــــــــــ (١٩٩٨). *اللغة العربية معناها ومبناها*. القاهرة: عالم الكتب.

١١. الحمد، غانم قدوري (٢٠٠٢). *المدخل إلى علم أصوات العربية*. بغداد: مجمع العلمي.

١٢. زاهيد، عبدالحميد (٢٠١٠). *نبر الكلمة وقواعدها في اللغة العربية*. المأخوذ في ٢٠١٠/٨/٩، من الموقع: www.arabization.org.ma/downloads/majall

١٣. السعران، محمود (١٩٦٢). *علم اللغة مقدمة للقارئ العربي*. القاهرة: دار المعارف.

١٤. السمرقندي، أبوليث (دون تا). *بحر العلوم*. تحقيق محمود مطربي، بيروت: دار الفكر.

١٥. الصغير، محمد حسين (٢٠٠٠). *الصّوت اللغوي في القرآن*. بيروت: دار المؤرخ.

١٦. الصيغ، عبدالعزيز (١٩٩٨). *المصطلح الصوتي في دراسات العربية*. بيروت: دار الفكر المعاصر.

١٧. عبدالتواب، رمضان (١٩٨٣). *التطور اللغوي مظاهره وعلله*. القاهرة: طبعة مدتي.

١٨. عبدالرحمن، مروان محمد (٢٠٠٦). *دراسة أسلوبية في سورة الكهف*. رسالة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، نابلس.

١٩. عبدالصبور شاهين (دون تا). *القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

٢٠. عمر، أحمد مختار (١٩٧٦). *دراسة الصوت اللغوي*. القاهرة: عالم الكتب.

٢١. الغامدي، منصور محمد (٢٠٠٠). *الصوتيات العربية*. الرياض: مكتب ملك فهد.

٢٢. الفارابي، محمد بن محمد (دون تا). *كتاب الموسيقى الكبير*. القاهرة: دار الكاتب العربي.

٢٣. قدور، أحمد (١٩٩٩). *مبادئ اللسانيات*. بيروت: دار الفكر المعاصر.

٢٤. كانتينيو، جان (١٩٦٦). *دروس في علم الأصوات العربية*. تعريب صالح الفرمادي، تونس: أوفست الشركة التونسية.

٢٥. مارتني، أندري (دون تا). *مبادئ اللسانيات العامة*. ترجمة سعدي الزبير، الجزائر: دار الآفاق.

٢٦. مالمبرج، برتيل (١٩٨٥). *علم الأصوات*. تعريب عبدالصبور شاهين، القاهرة: مكتبة الشياب.

٢٧. الموسوي، مناف مهدي (١٩٩٨). *علم الأصوات اللغوية*. بيروت: عالم الكتب.